تعظيم البيت الحرام

أ.أناهيد السميري

ألقي يوم الخميس

١٠شعبان ١٤٣٤هـ

في مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونسأله أن يُسدِّدنا ويوفِّقنا ويشرح صدورنا ويُحبِّب إلينا الإيمان ويزيِّنه في قلوبنا إنَّه أهل التقوى وأهل المغفرة.

نلتقي في لقائنا اليوم، كلمات بسيطة إن شاء الله نسمعها عن هذه النِّعمة العظيمة التي نعيشها، ونحن غاية في الخوف قبل أن نكون غاية في الفرح! لأنَّنا لما سمعنا في كتاب الله عن قوم سبأ سمعنا عن قومٍ متَّعهم الله بالنِّعم، فما كان منهم إلا أنَّهم لم يشعروا بها، وما كان من فِعلهم إلا فِعل ميِّت القلب الذي لا يشعر بنعمة الله! فكان الجزاء من جنس العمل، طارت أخبارهم في التاريخ، قومٌ بطِروا نعمة الله ففرَّق شملهم. **فهذا أكثر ما يُخيفنا أن نتقلَّب في نعمة الله وقلوبنا لا تشعر بنعمته.**

وأحد أهم أسباب عدم الشعور بالنِّعمة: ضعف الإيمان

فإنَّ قوة الإيمان تُولِّد تعظيم الرحمن، وإذا قَوِيَ الإيمان فعُظِّم الرحمن، عُظِّم كل شيء عظَّمه الله.

لكن إذا ضعُف الإيمان ضعُفت معرفة الرحمن.

أصبحت الأماكن العظيمة والأزمنة العظيمة لا تنال التعظيم من أهلها. وهذا أخشى ما نخشاه، أن نكون سببًا لزوال النعمة عن أنفسنا أولًا وعن أهلينا، ولذلك لابدَّ أن نجتمع مرارًا وتكرارًا نذكِّر أنفسنا بالنِّعم.

لابدَّ أن نذكِّر أنفسنا بالنِّعم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، لكن هذه كلمة لا تُقال على اللِّسان والقلبُ خالٍ منها.

إنَّ **هذه الأرض المباركة** مِحنة على ساكنيها، اختبار عظيم نجح فيه من نجح، وفشل فيه من فشل، محنة عظيمة، والْغُرْم عَلَى قَدْرِ الْغُنْم

هذه الأرض المباركة

- أرض عظَّمها الله مِنْ أنْ خلق الأرض.
- يُحبُّها الله دونًا عن باقي الأرض.
- هذه الأرض دَرَجَ عليها الأنبياء والمرسلين، وكانت قبلتهم، وفيها سارت أقدامهم.
- وفي جنبات هذه الأرض نزل الوحي.

[1] إبراهيم : ٧

فهل من معظِّم يقع في قلبه الشُّعور أنَّه يسير في الأرض التي سار فيها النبي صلى الله عليه وسلم؟!

إنَّ هذه المناطق بأسمائها كانت تُذكَر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذا سمعتِ "**أجياد**" ستذكرين موقفًا من مواقف النبي صلى الله عليه وسلم لما انقطع عنه الوحي، فعاد إليه جبريل ورآه في السماء في أجياد.

إنَّ هذه البقاع المشرَّفة إن سِرْتَ عليها، سِرْ وأنت تعرف من عظَّم هذا المكان ومن رفع شأنه!

ولذلك نرجو من الله في هذه الدقائق البسيطة، أن نشير ونضيء وننبِّه ونحذِّر، وإلا المقام لا يسمح في مثل هذه العُجالة أن نقول كلّ الحقّ الذي يجب أن نعتقده، لكن إذا سكتنا وسكتنا نخشى أن نبعد بعيدًا عن الحق!

فنقسم لقاءنا إلى قسمين:

١. كلام سريع عن تعظيم البيت الحرام ومكانة البيت الحرام عند ربِّ الأرباب.

٢. ثم نأتي للكلام بعد ذلك حول مسؤوليتنا عن هذا البيت الحرام.

فإذا بدأنا الكلام سريعًا عن منزلة مكة المباركة عند الله، نجد: أنَّها هي الحَرم، وهي الحَرم الآمن، وقد جاء التَّصريح بتحريمها، وقد جاء التَّصريح بأمنها، وأتت أخبار أخرى على أنها حرام.

فلو بدأنا بالنَّظر إلى النُّصوص التي فيها إخبار عن حُرمة البيت وعن الأمن الذي فيه، وَهَبَهُ الله لخلقه نسمع قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾[1]، وأوّل ما نقِف نقِف عند قوله تعالى: (نُمَكِّن - رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا) إنَّها نعم الله.

فمن عظَّم الله، عظَّم أرضه.

ولذلك أوّل كلام نقوله : فتِّش في قلبك، تحسَّس فؤادك، هل أنت تعبد الله بتعظيم البيت الحرام؟ **إنَّ التَّعظيم رأس العبادات.**

ولذلك نوح عليه السلام بعد أن بقي مع قومه –كما في سورة نوح– زمنًا طويلًا قال لهم: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[2]، فإنَّ تعظيمَ الله عليه يُبنى الدِّين، وتعظيم الأرض التي يُعظِّمها الله دليل الإيمان، فإذا فقد الإنسان تعظيم الله، ترى آثار فقدانه تعظيم الله في عدم تعظيمه لما يُعظِّم الله.

[1] القصص: ٧٥

[2] نوح : ١٣

فابدأ تحسَّس قلبك الذي إذا صلُح صلحت جوارحك وراءه، هل في قلبك شعور بعظمة الله ومِن ثَمَّ عظمة ما عظَّم اللهّ؟!.

وإذا أردت أن تعرف تعظيم الله، فاسمع عن أسمائه وصفاته، واسمع اسم الله **الملك** وكيف الملك العظيم سبحانه وتعالى يحكم ما يشاء ويقضى ما يُريد، فيجعل أرضًا صحراء لا غدير ولا ماء شديدة الحرارة قليلة الفيء لها مكانتها عند الله! لتذهب جميع الأهواء، ويكون الهوى تبعًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

ما الذى يجعل في القلب شوقًا عند أهل الأرض جميعًا لأرضٍ لا زرع فيها ولا ماء، قليلة الفيء، شديدة الحرارة **إلا تعظيم الله**.

إذا وقع في قلب العبد التَّعظيم عظَّم ما عظَّمه الملك، الملك العظيم الذى خلق هذه الأرض وخلق هذا العبد، عظَّم هذه الأرض. إن كنت تعلم أن الملك يحكم ما يريد ويقضي ما يشاء، فسيسري في قلبك تعظيم ما عظَّم الملك.

فإذا علمت أنه مكَّن لهذه الأرض أن تكون حرمًا آمنًا، وأنه سبحانه وتعالى يجبي لهذه الأرض ثمرات، وهذه الثمرات ما هي إلا من نعمائه، علمت أنَّ رَغَد العيش الذى تعيشه ما هي إلا من آثار أفعال الملك العظيم.

ثم إذا أردت أن ترى شيئًا من أفعاله على مدى التاريخ، انظر ماذا قال لك الملك العظيم لهذه الأرض التي يحبها؛ قال لك: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴾[1]، كم مرّة قلَّبت بصيرتك !

(أَلَمۡ تَرَ) أين أنت ترى؟

(كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ) الربّ العظيم الملك الكريم كيف فعل بأصحاب الفيل؟ وماذا تنتفع بفعله لأصحاب الفيل؟ أترى كمال قدرته وكمال عظمته وكمال مكره بالماكرين وكمال كيده بالكائدين وكمال حفظه للمؤمنين؟!

إذا كان حفظ البيت الحرام فكيف بمن آمن به؟!

ولذلك كلَّما قرأت سورة الفيل كنت أهلًا لأن تزداد تعظيمًا لربّك، وتزداد تعظيمًا لأرضه التي عظَّمها.

إنَّ هذه الأرض التي أنت فيها قال الله في حقها: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[2] ماذا يحصل

---

[1] الفيل : ١

[2] العنكبوت : ٦٧

للناس من حولهم ؟ ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡ ﴾[1]، فإذا شعرت بالأمن رُدَّ هذا الأمن للملك العظيم الربِّ الكريم، الذى أنعم على هذه الأرض وخصَّها بهذه النِّعَم ، **وأخصها الأمن.**

ولازلنا نقول: الأمر يدور حول أنَّ تعظيمك للملك هو تعظيمٌ مبني على معرفتك للملك العظيم.

إنَّ الجهل بالله هو أعظم داء، وهو الذي يولِّد في النُّفوس عدم تعظيم حرمات الله، وهو الذي يولّد في النفوس استهانة ببيت الله .

فإذا سألتَ عن الدَّاء لا تأتِ إلى أطراف المسائل وتحلّها. لو وجدت نفسك في الحرم وقد اجتمعوا –النساء خصوصًا– في أيام في مثل هذه الأيام، وجلسوا في الأماكن المكيَّفة، وحوَّلوا بيت الله إلى استراحة مؤقتة! يجتمعون يتكلَّمون ويتمتعون ثُمَّ يتركون وراءهم المكان أسوأ ما يكون! هذه مشكلة! لكن أتدري ما داؤها؟ داؤها ليس النظافة؛ لأن كل واحد من هؤلاء في بيته شديد الحرص على نظافته إذا لم يكن موسوسًا في النظافة، **لكن الداء هو فقدان تعظيم الله!**

فإذا فُقِد تعظيم الله فُقِد تعظيم ما عظَّمه الله، فإذا فُقِد تعظيم ما عظَّمه الله مارس الإنسان ما لا يليق في الأماكن العامَّة مارسه في بيت الله. وإذا وجدت مُدافِعًا هنا أو هنا عن البيت الحرام، استطالت عليه الألسن: (لا تنصحنا! بأيِّ حقٍّ تمنعنا؟!) وماذا ستقول لهم في مثل هذه المواقف؟ إلا أننا نستجير الله أن يكون أثر هذا الذى نفعله حرمانًا من النعمة؛

لأنَّه كلَّما ضعف الإيمان استُدرِج الإنسان، فأبقيت عليه النِّعمة ثم خُطِفت عنه مرَّة واحدة!

فنعوذ بالله من الاستدراج، ونسأل الله أن يردَّنا جميعًا إلى بابه، وأن يجعل الإيمان في قلوبنا، ومعرفة الرحمن زادنا، فإذا حصل هذا تصرَّفنا بما يليق.

ولذلك نقول في مثل هذا الاجتماع: العناية بنظافة البيت الحرام وتطهير هذه الأرض المباركة مصدر هذا كلّه سينطلق من **الإيمان**، التَّطهير والنظافة أطراف المسألة، أطرافها، نهايتها، نتائجها.

وانظر إلى المسألة بصورة أخرى وقل: إن وُجِدَت هذه التصرفات –التي هي عدم الاهتمام والعناية بنظافة البيت الحرام والأرض الحرام– فإنَّها مؤشرٌ على ضعف الإيمان، إنَّها مؤشرٌ على ضعف تعظيم الرحمن، ولا تنظر إلى هذه الأرض كما تنظر لأي أرض.

فاستخلصنا من هذا: أنَّ نِقاشنا يجب أن يكون حول تعظيم الله، وتعظيم ما عظَّم الله، والخطة التي يجب أن نسيرها جميعًا مع أنفسنا أولًا ثم مع أبنائنا من أجل أن تكون هذه الأرض أرضًا عظيمة في نفوس أبنائنا، ثم يمارسون فيها ما يليق.

---

[1] العنكبوت : ٦٧

☜ولنبدأ بالقاعدة الأولى من أجل أن نرتِّب أفكارنا :

إذا علمت أولًا أنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، إذن صلاح تصرفاتك و أفعالك في هذا البلد الحرام أو في أي أرض كانت، صلاح تصرفاتك مع بيت الله أو مع الخلق في بيت الله، سيكون ما مبدؤه؟ ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ))[١].

صلاح تصرفاتك كلها مبنية على صلاح قلبك.

إذن كل الطَّرفيَّات (الطرفيات: التعاملات كلها) مبناها وأساسها على قلبك، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا صلح هذا القلب صلح الجسد كله، ويقول: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[٢].

فأنتم تعلمون جميعًا هذا الحديث، رجل يميط غصن شوك عن طريق المسلمين، فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة؛ **والعِلَّة** : ما قام في قلبه من تعظيم الله.

إذن أوَّل خطوة من أجل أن تتصرَّف معظمًا لبيت الله: ابحث عن قلبك، واعلم أن صلاح قلبك سببٌ لصلاح جوارحك. وكل مطلوب -أيًا كان المطلوب- مرجعه في نهاية الأمر إلى صلاح قلبك، تريد أن تصلح عائلتك، تصلح أولادك، تصلح زوجك، ضع قائمة الصَّلاح واسبقها كلها بكلام النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ)).

أول الأمر اجعل تركيزك على قلبك، واجعل صلاحه غايتك.

فإذا سألت: ما أثر صلاح القلب؟ قلنا: صلاح كل شيء، إذا صلح القلب صلح كل شيء، طابت الدنيا وما فيها.

- إنَّ القلب الصالح له بصيرة نافذة.
- القلب الصالح ينظر إلى القضاء والقدر بعين الرضا.
- القلب الصالح ينظر إلى الرزق بعين الرضا.
- القلب الصالح ينظر للناس فيراهم ابتلاءً وامتحانًا يصبر عليهم انتظارًا للفرج من الله.
- ترى القلب الصالح صالحًا في كل شيء.

---

[١] "صحيح البخاري" (كِتَاب الْإِيمَانِ/بَاب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ/٥٢)، ومسلم (كِتَاب الْمُسَاقَاةِ/ بَاب أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ/١٥٩٩).

[٢] "صحيح مسلم" (كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ / باب لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا/٤٦٥١).

إذن القلب الصالح مقصَد، إذا أصلحته صلح كل شيء، بصيرتك تنظر إلى كل شيء كما ينبغي.

إذن مهم جدًا القلب الصالح.

☜نأتي إلى القاعدة الثانية:

إذا كان القلب هو مدار صلاح العبد وصلاح سلوكه، واتَّفقنا أن لا تُكلِّمني عن السلوك قبل أن تُكلِّمني عن قلبي، **أولًا: أخطط لقلبي أن يَصْلُح من أجل أن يَصْلُح سلوكي**، وهذا تقرير من كلام النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ))، إذا كان هذا الأمر مقرَّرًا واتَّفقنا عليه، يأتي الأمر الثاني: هذا الجسد الذى هو تبع للقلب ويُحرِّكه القلب، وأنا أريد صلاح القلب وصلاح الجسد، ماذا أفعل للقلب لكي يُحرِّك الجسد كما ينبغي؟ بمعنى ماذا أفعل لأصلح قلبي؟!

نقول:

لايوجد سببٌ للصَّلاح إلا معرفة الله !

إنَّ من عرف الله بأسمائه وصفاته وبكمال جلاله وجماله سبحانه وتعالى لابدَّ أن يستقرّ في قلبه تعظيم الله وتأليهه، الذي يعرف الله حقَّ المعرفة لابدَّ أن يقع في قلبه حب الله وتعظيمه.

إذا عرفت أن الله الملك القدُّوس، مُنزَّه عن كل صفات النَّقص، صفاته كلّها صفات كمال، عرفت أنَّ الله هو الملك القدُّوس السَّلام، سالِم سبحانه وتعالى من أن يكون فيه نقص في صفات كماله، فرحمته سبحانه وتعالى وسعت كل حيّ، وعطاؤه بلغ كل عبد، وقيُّوميَّته على كل شيء، وهو سابقٌ لكل شيء وليس شيءٌ يسبقه. فهو الملك القدُّوس السَّلام المؤمن الذي إذا وعد لا يخلف وعده، والذي إذا وهب الخلق عطايا متَّعهم بها ورزقهم إياها وأعطاهم المزيد لو زادوا في شكره.

فالله هو الملك القدُّوس السَّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، كم جَبَرَ القلوب؟! كم جَبَرَ الكسور؟! كم محا عن الخلق أحزانهم ؟!

فهذا الملك العظيم لو امتلأ قلبك معرفةً له ستعظِّمه وتحبُّه، فتُحقِّق معنى أنَّه إلهك الذى تحبّه وتعظِّمه، وسيكون هو صمدك الذي إليه تلجأ، سيكون هو صمدك، هو ركنك الشديد.

فإذا تحقَّق هذا وامتلأ القلب تأليهًا تحرَّكت الجوارح تعظيمًا، فلا تنظر إلى البيت الحرام إلا على أنَّه أعظم ما رأيت عينك على الأرض، ولا ترى هذا البلد الحرام إلا خير ما وطأت الأقدام أرضًا، إلى أن يستقرَّ في قلبك أنَّك في تمام النِّعمة وأنَّك في أعظم نعمة، فإذا حصل هذا بدأ التصرف السليم.

صلاح القلب طريقه واضح، لا يصلح القلوب إلا معرفة الملك العظيم. ولذلك أنت تسمع أنَّ أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي، تسمع أنَّ ثلث القرآن هي سورة الإخلاص، تقول بعد كل صلاة: "اللهم أنت السلام ومنك السلام"، إذن هذا الذي تُردِّده من أسماء الله وصفاته تقول: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾[1]، ها أنت تُردِّد أسماء الله وصفاته، لماذا تُؤمَر بكلِّ هذا الترديد؟ لماذا كلّ يوم تعيد تقول: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[2]، لماذا تقول هذه الكلمات؟ إلا **لأنَّ فهمها العميق صلاح للحياة كلها.**

إذن الخطوة الثانية كانت صلاح قلبك يكون بصلاح عِلمك عن الله، الذي يعرف الله تمّ له العِلْم، والجاهل ميِّت القلب: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾[3]

إذن المعنى أنَّ كل الأعمال مبنية على صلاح القلب، وصلاح القلب لا يكون إلا بمعرفة الله .

☜ نأتي إلى الخطوة الثالثة :

فإذا عرف العبد ربَّه، وقع في قلبه تأليهه وتعظيمه، لابد أنَّه سيأتي إلى الخطوة الثالثة، وهي: أن يفتِّش عن مراضيه: ماذا يُرضي الله؟، يُفتِّش عن محابِّه: ماذا يُحبّ الله؟

يُفتِّش عن رضى الله، وعن ما يحب الله.

ماذا يقع في قلب عبد يُعظِّم الله وعَلِم أنَّ الله يُحب هذه الأرض؟ المفروض أن يقع في قلبه حُبُّ ما يُحِبُّ الله، إذا عَلِم أنَّ ربَّه يريد منه أن يعظِّم هذه الأرض ولا يتعدَّى عليها، لو قلبه امتلأ معرفةً بالله، عظَّم ما يُعظِّم الله.

فنحن داؤنا يدور حول **الجهل به**، وهو الملك العظيم صاحب النِّعماء.

ثم يأتي الداء الثاني و هو **أننا لا نعرف ما يحب الله.**

فإذا ما عرفنا الله، وما عرفنا ما يحب الله، جررنا أنفسنا ومن حولنا للهلاك!.

---

[1] الناس : ١-٣

[2] الفاتحة : ١-٤

[3] الأنعام : ١٢٢

وإنَّ مما يُحبُّ الله: أن تُكرِمِ الوافدين عليه، أن تُكرِم من قصد البيت، أن تُكرِم من ترك دياره وأقبل على ربِّه وطاف ببيته وسعى.

إنَّ إكرام هؤلاء من تعظيم الله، فإذا علمت هذا سعيت جاهدًا إلى جعل كل شيء حولك وحولهم جاهزًا لإكرامهم، وأنت تكرمهم وتنتظر عند ربك الأجور التي تترتب على إكرامهم، والله يقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[1]، بشِّرهم أنَّ لهم قدم صدق تسبقهم عند ربهم.

واحذر أن تقول مثل ذاك الذي يقول : ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾[2]، واجعل لك قدم صدق تسبقك.

وأنت في هذه الأرض تُعظَّم أعمالك، لكنَّ الْغُرْم عَلَى قَدْرِ الْغُنْم. فكما أنَّك في أرضٍ يحبّها الله، وتعظَّم فيها الأعمال، وتضاعف فيها الصلوات، ويهوى الناس بأفئدتهم إليها، كذلك أنت في أرضِ النيَّة والإرادة بالمنكر فيها عليك، بمعنى: في كلِّ الأرض غير هذه الأرض الإنسانُ إذا هَمَّ بمعصية ولم يفعلها لا تُكتَب عليه، أمَّا هذه الأرض إذا هَمَّ الإنسان فيها بمعصية -الهَمُّ إرادة الإلحاد- تُكتَب على العبد! فالمسألة ليست يسيرة: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[3]، {وَمَنْ يُرِدْ}: أي يريد بقلبه، {بِإِلْحَادٍ} أي: بمُشاقَّة ومعصية {نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}.

فالْغُرْم قَدْرِ الْغُنْم

ندخل إلى **أحكام للحرم**، بحيث نعامل هذا البيت العظيم كما ينبغي:

- ورد في صحيح البخاري وأيضًا صحيح مسلم: ((إنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ))، **إذن هذا أول تقرير أن الله حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض.**

[1] يونس : ٢
[2] الفجر : ٢٤
[3] الحج : ٢٥

– **الأمر الثاني**: ثم قال: ((فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ ، ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ ، ولا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا ، ولا يُخْتَلَى خَلاَهُ))[1]، كل هذا من أجل أن يأمن كل شيء في هذه الأرض، كل شيء في هذه الأرض آمن، حتى الطير يأمَن أنَّك لا تُنَفِّره.

فإذا أتيت تربي أبناءك كان الواجب عليك أن تكون هذه المفاهيم كلها أمام عينيك؛ لكي يَربى طفل مُعظِّم لله.

– وهذا البيت كما تعلمون **من البيوت الثلاثة التي لا تُشَدُّ الرِّحال إلا لها**.

– وفي هذا البيت الحرام **الصلاة فيه أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**.

– وقد ذكر ابن عمر فيما يُروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمعه يقول عن مسح الركنين، قال: ((مسحُهما يحطُ الخطايا))، وسمعته يقول –يعني ابن عمر-: ((من طاف بالبيت لم يرفع قدمًا ولم يضع قدمًا إلا كتبَ الله له حسنةً، وحط عنه خطيئةً، وكتبَ له درجةً))[2]، خطوة خطوة يُكتب لك فيها الأجور.

– ونأتي إلى هذا الأمر المهم وهو أنَّ هذا البيت من ميزاته: أنَّ العبد يتقرب إلى الله فيه ليس بلَوْم النَّاس على ما هم فيه من عدم النظافة، إنما يتقرَّب إلى الله فيه بتطهيره وتهيئته للمُتَعَبِّدين؛ **فإذن تطهير البيت قربة من القرب الى الله**.

وأعظم الطهارة المطلوبة هنا طبعًا الطهارة من **الشرك** وأن لا يُدعى غير الله في بيت الله.

ثم يأتي بعد هذه الطهارة العظيمة المهمة: طهارته من **الأصوات العالية المزعجة**، وأنت تسمع في الحرم أصوات النساء في الأيَّام الشريفة العظيمة تتعالى نداءً وكأنهنَّ في بيوتهن!.

وهذا ضد تطهير البيت : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[3].

أي طهارة معنوية وطهارة حسية :

أما المعنوية: فمن الشرك.

أما الحسية : فمن كل شيء يزعج المصلين والطائفين والعابدين.

فصَوتُنا في الحرم خَفْضُه من القُرَب إلى الله، نتقرَّب إلى الله أن نطهر البيت إن ترك أحد من الحجاج شيء مما ينبغي تطهيره، ولا تتسرَّع بذمِّهم، فهذه فرصة للتقرب إلى الله بأن تُطهِّر البيت ما استطعت.

[1] "صحيح البخاري" (كِتَاب الْجِزْيَةِ /باب لكل غادر لواء ينصب بغدرته يوم القيامة /٣٠١٧)، "صحيح مسلم" (كِتَاب الْحَجِّ /باب تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ/١٣٥٣".

[2] الترغيب و الترهيب ٢/١٨٥.

[3] الحج : ٢٦.

لكن العيب أن تكون أنت هنا المعظِّم لبيت الله يأتي منك عدم تطهير البيت. وأمَّا الأطفال وأصواتهم وتركهم إيذاء القارئين والمسبحين والمصلين فحدِّث ولا حرج!

وأنتم تعلمون أنَّه نادرًا ما يأتي الحجاج بأطفالهم، فلا يبقى أطفال إلا أطفال أهل البلد! إذن عندما نجد الحرم عبارة عن صرفة مدرسة يلعبون، سيكون أولاد مَن هؤلاء؟ أولاد المسؤولين عن تطهير البيت حِسِّيًا ومعنويًّا. فكم آذينا المصلين، وكم أزعجنا التالين، وكم اعتدينا على حقوق الله، وكم حوَّلنا بيت الله إلى مكان للالتقاء! كل هذه عظائم وجرائم، لو كانت في أي مكان آخر تكون جريمة، فكيف في بيت الله؟ هذه معصية عظيمة علينا أن نكون أهل التقوى ونتقي الله ونتناصح في ذلك.

ساكِنة مكة المكرمة ما هي مسؤوليتها؟

اتفقنا أن الْغُرْم بقَدْرِ الْغُنْم؛ تُضاعف صلواتك، أنت في أرض يحبّها الله، في مقابلها يجب أن يكون هناك غُرم :

☜ **أولًا : عبادة الحمد والشكر:**

نحمد الله ونشكره على ما أنعم علينا وأكرمنا بسُكنى هذه الأرض، لأنَّ سُكنى هذه الأرض اختبار وابتلاء، اختبار عظيم، وليس كل الناس في حال نجاح في هذا الاختبار، إن تتولوا ماذا يفعل بكم؟

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [1]

أما الذي يقول: لا، أنا سأبقى سأبقى، فهذا لا يعرف الله!

فإن الله يدبّر لخلقه من التدابير ما لا يمرّ على خواطرهم، فإذا شكرت، زِيد لك في النعمة، وإن بطرت، فعقوبات الله لها ألوان!

☜ **الأمر الثاني : مطلوب مِنَّا الحرص على تعظيم حُرمة البيت الحرام:**

وهذا ليس كلامًا! المشكلة أننا نقول بألستنا وعندما تأتي مواقف نجد أننا نقوم بفعل عكسي، هذا يُدخِلنا في باب خطير، يجب أن نكون مُركِّزين أنَّ الدعوى باللِّسان التي لا يُقابلها صِدق في الواجدان هذا باب "**النفاق العريض**"!.

في اليوم العظيم يسير المؤمنون والمنافقون معًا ثم يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، الآن في تلك اللحظة المنافقون ينادون المؤمنين يقولون لهم: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ [2]

---

[1] محمد : ٣٨.

[2] الحديد : ١٤.

أي: ألم نكن معكم نشهد شهادتكم ونجلس مجالسكم ونصلي صلاتكم ونعبد الله مثلكم ؟! ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[1]، أمر خطير.

ولهذا لما تسمعهم في أول سورة المنافقون، يأتون للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ ﴾ ماذا يقولون؟ ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ انظري {نشهد} بمعنى: شيء على قلوبهم {إنك لرسول الله} أي حقيقة. والله يقول لهم : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ هذه الحقيقة ليس فيها منازعة ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2] شهد على كذب ما في قلوبهم!

فلا تأتِ تقول: "البيت الحرام عظيم" كلامًا باللسان وهو غير مستقر في الوجدان!.

هذا الباب العظيم للنفاق: أن يكون ما في قلبك ضد ما هو على لسانك!.

فلذلك برامج تعظيم بيت الله الحرام ليست كلامًا يجري على اللسان، البرامج ليست مجرد لوحات تُكتب، ولا برامج تنطلق، هذه أعمال قلب يجب أن تُبنى في القلب.

لا يُهنِّئ بعضنا بعضًا ونقول انطلقت حملة تعظيم بيت الله الحرام، هذا ليس كلامًا على الأوراق، إن لم يُصبح في القلب ليس له قيمة، بل سيكون شاهدًا علينا أننا ذُكِّرنا بحق هذا البيت ولم تنفعِل قلوبنا!

إنَّ الذي يموج بالعالم الإسلامي أن يقولوا بألسنتهم كلامًا لا يجدونه في وجدانهم. إنَّ مشاعرنا أعظم اختبار لنا ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[3]، وَجِلَت: مشاعر، أين هذه المشاعر؟! لقد تاهت مشاعرنا في كل أرض وذهبت مع كل حي، ثم نُطلِق بألسنتنا دعاوى لا نهاية لها!.

فإنَّا نستجير بالله أن نقول كلامًا بألسنتنا ولا نجده في قلوبنا، ونبرأ إلى الله أن يكون هذا حالنا، ونستعيذ بالله أن تكون هذه خواتيمنا.

لأنَّه –يا قوم– لما تأتي سكرة الموت يذهب عقل العبد ولا يبقى إلا ما في قلبه يجري على لسانه، فإذا امتلأ قلبك بتعظيم الله وبكلام الله، انطلق على لسانك وقت سكرة الموت هذا الكلام؛ لأنها سكرة تُذهِب عقل العبد، سكرة لا يبقى فيها إلا ما في القلب. فإذا بقينا نكلم بعضنا كلامًا ونُدَوِّر كل المشاريع في مجرَّد كلام سنبقى كما نحن لم يتغير شيء! بل سنكون خاسرين، من جهة أننا أصبحنا نُجري

---

[1] الحديد : ١٤.

[2] المنافقون : ١.

[3] الأنفال : ٢.

حقائق على ألسنتنا وكأنَّنا نقول: نَشهَد أنَّ هذا البيت عظيم، والله يعلم أنَّ هذا البيت عظيم. ونخشى أن نكون ممن يقول الله: والله يشهد إنَّكم كاذبون!

نعوذ بالله من سوء الحال، نعوذ بالله من أن يكون الإيمان مُجرَّد كلام نقوله بألسنتنا!.

إننا حقيقة في هذا المجلس نُردِّد حقائق لكن بقي أن تكون هذه الحقائق في وجداننا ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)) .

فأسال الله عزّ وجلّ أن تكون قلوبنا ممتلئة بتعظيمه.

ولهذا نقول :

☜ احرص على أن لا تكون سببًا في تجرئة غيرك على انتهاك حرمات الله.

☜انتبه أن تكون أنت سببًا أن يَنتهِك الناس حُرمة هذا البيت.

☜عليك أن تُعَظِّمه مِن أجل أن يُعَظِّمه الخلق، ويكون سبب تعظيمِك أنت سببًا لتعظيم الخلق هذا البيت.

☜ واحرص على الإكثار من الطاعات والعبادات والتعرض للرحمات؛ فأنت في أحبِّ أرض يحبها الله.

أسأل الله بمنه وكرمه ورحمته أن يجعلنا ممن صدق في إيمانه وفي تعظيمه وفي تعظيم بيته، وأن يحشرنا مع الأنبياء والصديقين والشهداء صادقين غير كاذبين. اللهم آمين.